



أعلم أن عنوان هذه المقالة فيها شيء من الاستفزاز، فمن ذا الذي يُلقي لما أحب وما لا أحب بالأ، وهل سيترك الناس مشاكلهم وأولادهم وأرزاقهم وهمومهم ليشغلوا بالأربعة الذين لا أحبهم، لكن يشاء القدير أن أحدثك عن هؤلاء الأربع، فاصبر علينا ولا تعجل، واسكر الله أني سأحدثك عن أربعة ولم أنحرف عن جادة العقل لأحدثك عن الرهط الأربعين الذين يغليظونني حد الصياح، ولك أن تخيل ذلك فقط لتفلق هذه الصفحة حالاً وتتابع مونديال أوروبا فهو أرحم.

يا سيدى هناك أربعة لا أحبهم فدعني أحدثك عنهم، ولست والله أئوي إقناعك بأن تصنع مثلي فأنا رومانسي بطبعي:

أما الأول: فهو الشخص الذي يحمل الشعار القائل: أنا فاضي أشغال إذن أنا ناشط، فلا يكاد يترك صفحة فيسبوك إلا ويعلن فيها جهاده ويحمل عقيرته على كل الصفحات الصغيرة منها والكبيرة، ليعلن موافقه الحاسمة، ويصدر بياناته التي تشجب وتندب، ويتوعد الدول والممالك والأصقاع بحروب ضروس فيعد عدته وـ**يُفرمت جهازه**ـ . ويفجر فأرته (الماوس يعني) مع شحنة ثورية مليئة بالنسكافيه، تشعر حين يحدثك أنه الفتى ودونه خرت القتاد، أما ميدان التويتر فله فيه غزوات عظيمة بين كتابة ستاتوس وردود على ستاتوس، كأنه هارون الرشيد يتوعّد نقوّر ملك الروم بجيش أوله من على أريكته وآخره حيث يمد رجليه. وليس يُنكر عاقل دور صفحات التواصل الاجتماعي في ثوراتنا، وتعزيز مفهوم صحافة المواطن، أو الصحافة

الحرة، ولكن عزيزي هذا لا يعني أنك أصبحت مجرد مشاركتك في تعليق أو نسخك لخبر أنك أصبحت رئيس تحرير صحيفة، أو محللاً سياسياً أو إعلامياً بارزاً، أو ثائراً لا يُبُزَّك في ثورتك أحد كي تحاربنا بأسلحة غلاظ شداد، وتسلط علينا لسانك وكيبورنك، فتتمنّ علينا بهذه الساعات التي تقضيها وراء شاشة كمبيوترك، أو أن تُنظر على العاملين في الساحة، وتنتقد كل تحرك، وتحارب كل فكرة واقتراح، وتُعارض - من أجل الاعتراض ليس إلا - أي شيء وكل شيء لمناسبة وغير مناسبة ليُقال عنك معارض. أقول لمثل هذا خفّ، رعاك الله.

أما الثاني: فهو شخص آتاه الله علماً وموهبة وفكراً فسيّر ذلك كله في غير محله، ووضعه في غير موضعه، فصار عوناً للظالم، وبوقاً للفساد، ومنبراً لتبرير القتل والتعذيب، وإذلال الشعوب، ولست تدري كم يحزنني هذا الصنف من الناس، فهم ليسوا من عامة القوم، ولا دهماؤهم، فنعتذرهم بالجهل مرة، أو الانسياق وراء الإشاعات والإعلام المُسِير مرة أخرى، بل هم مثقفي المجتمع ونخبته وعلماء الأمة - أو هكذا كان نتصور - وشيخوها ورجالات دينها، هذه الدنيا لا يدوم لها حال، وهذه الدار لا تبقى على أحد، فمن ذا الذي كان يتصور أن عالماً جليلاً يقف من على منبره ليمدح ظالماً، أو يُفتي بقتل شعب يثور ضده، ومن كان يُصدق أن شاعراً حكيمًا كان مضرب المثل في قومه، ثم صار أمين سجل النفاق الحكومي، أو مثقفة تُنادي بذبح الأطفال، فهم على حد قوله: إرهابيون لا يختلفون عن آبائهم شيئاً. أقول لمثل هؤلاء - الشبيحة خمس نجوم - جايينكم.

أما الثالث: فهو يا سادة رجل ظن لدقائق أن العالم يدور من حوله، وأنه مركز التقاء القوة الباطنة والظاهرة وقوة الجاذبية أيضاً، ولذلك فقط فهو يرى أن من حقه - وحده - أن يهدم ثقافات الناس ومعتقداتهم، منطلاقاً من ظنه السابق، أن التحرر من كل عقيدة ودين وفكرة سيجعل منا - معاشر الشرقيين - قوماً أكثر تقدماً وحضارة، وأننا ما تخلفنا وتأخرنا إلا باتباعنا لإيماننا المطلق بتراثنا، ولست أفهم هذا العداء الحاد الذي يشنّه هذا الشخص - وغيره كثراً - على المخلصين من أبناء الأمة، وعلى منهج هؤلاء في الحياة، فلم يكن ولن يكون منهج الإسلام حجر عثرة في سبيل الرقي والتقدم، وإن فأنتي بدليل واحد على ذلك، إن التجربة الإسلامية حيثما حلّت وجدتَ خيراً كثيراً، ووجدتَ إقبال الناس عليهم كبيراً، وانظر إلى الربع العربي نظرة متجردة لترى اختيارات الجماهير وشعاراتهم وهي تُنبئك بباقي الحكاية. لسنا ضد حق أي شخص باختيار الطريقة التي يحب أن يحيا بها، لكن لا يروق لمن يشنّ حملات التشويه الكاذبة على عقيدة الناس ويُهدّر حقهم في اتخاذ المنهج الذي يرونـه مناسباً لهم والذي لا يرى الحق إلا حيث يراه. أقول لمثل هؤلاء، وبعدين معكم؟

أما الرابع: فهو الراقص على الحبلين والمتألون كحرباء مدغشقر، لا تعرف له رأياً سوى المصلحة، ولا تراه إلا وقت حاجته إليك.

يعطيك من طرف اللسان حلاوة*** ويروغ منك كما يروغ الثعلب

إن كان ثمة مصلحة في الثورة فهو أبو الثوار، وإن كانت في المعارضة صار من المعارضـة، ولو رآها مع طرف ثالث - وإن كان النظام ذاته - لانقلب على عقبـيه يعلن التوبة ليدافع بشراسة مدغشقرية غريبة عنـمن كان يهاجمه البارحة،اليوم معك وغداً مع عدوك، وبعد غد يُصبح عدوك ذاتـه، تجار الثورات والثروات، أعتقد أنكم تعرفونـهم جيداً وكم تعاملـنا معـهم. لمـثل هؤلاء أقول: لا أحـبـكم ولو ابـتـعـتم لي زـحلـ!

وبعد يا كرام لا يتـصورـونـ أحدـكمـ أنـ الخـيرـ فيـ هـذـاـ العـالـمـ يـذـيلـ وـيـخـتـفيـ، وـأـنـناـ لـاـ نـحـسـنـ سـوـيـ جـلـ الذـاتـ - وـعـلـىـ فـكـرـةـ لـنـ تـجـدـ أـشـطـرـ مـنـاـ فـيـ جـلـ الذـاتـ، مـاـ عـلـيـنـاـ - بلـ الـخـيـرـيـةـ فـيـ هـذـهـ الـأـمـةـ لـاـ تـطـفـيـ جـذـوـتـهـاـ وـلـاـ تـخـتـفـيـ هـيـبـتـهـاـ، إـلـاـ أـنـناـ نـدـقـ نـوـاقـيـسـ الـخـطـرـ لـنـتـدـارـكـ أـخـطـائـنـاـ وـلـجـدـ قـدـحـ أـفـكـارـنـاـ. وـالـسـلامـ